الإيمان والأمن النفسي

د.ئاراس محمد صالح

جامعة السليمانية/كلية العلوم الإنسانية

١٤٣٢هـ ٢٠١١م

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلم البشرية نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته الى يوم القيام.. أما بعد...

يعد الأمن النفسي أكبر وأعظم نعم الله تعالى على الإنسان، فبدونه تخلو الحياة من السعادة والراحة النفسية والجسمية، ويختل الوجدان ولا يشعر الشخص بأي متاع في الدنيا ونعيمها، والنفس الإنسانية مخلوقة عظيمة معقدة يقسم الله سبحانه وتعالى بها في محكم تنزيله حيث يقول: [**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ❖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**][1]. ويرشدنا القرآن الكريم الى تزكيتها وتنميتها وتهذيبها، يقول سبحانه: [**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ❖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**][2] ويشير سبحانه وتعالى الى أهمية الإيمان والعبادة والالتجاء الى الله العزيز القدير، وجاءت نصوص من القرآن والسنة الصحيحة لبيان دور الإيمان والعبادة في اطمئنان القلب واستقرار النفس، كما في قوله تعالى: [**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**][3] ، وحصر أغلب علماء أصول الفقه مقاصد الشريعة الإسلامية في خمسة مقاصد وهي: حماية الدين والنفس والعقل والنسل والمال، ونعلم أن النسل والعقل جزء من النفس، وجاء الدين لخدمة النفس، وسخر الله المال وجميع نعم الدنيا للإنسان، والباحث هنا يبين أهمية الإيمان والدين في حياة الإنسان، وآثار الإيمان على الصحة النفسية

١- سورة الشمس، الآيات:٧-٨.

٢- سورة الشمس، الآيات:٩-١٠.

٣ - سورة الرعد، الآية: ٢٨.

وحمايتها من الإختلال والمرض والخواء الروحي من حيث رؤية القرآن الكريم وعلم النفس الحديث.

Abstract

: Psychological safety was within the biggest gift of great Allah to human, without it the life de empty of happiness and mental and physical rest, and human fells abnormal and unstable; he cannot enjoy his beauty life. Human Psychological was very difficult and complex as the holly quran reference to it in many places. The great Allah pointed to the importance of faith and the scientist's reference to five targets of it. The researcher here pointed to the importance of faith and its role in Psychological safety and safe the faith from different abnormalities and diseases at the sight of holly quran and al-hadeeth science.

المطلب: الأول: مفهوم الإيمان لغة واصطلاحاً:

الإيمان لغة: مشتق من الأمن أي: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسما للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسما لما يؤمن عليه الانسان، وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله تعالى:[**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ** ...][1]. ويقال لكل واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح: إيمان[2].

والأَمانُ والأَمانَةُ ضد الخيانة. وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ. وآمَنْتُ غيري، من الأَمْنِ والأَمانِ. المُؤْمِنُ اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى: لأنّه آمَنَ عبادَه من أن يظلمهم. وأصل آمَنَ أَأْمَنَ بهمزتين، ليّنت الثانية، والأَمْنُ: ضدُّ الخوف. والأَمَنَةُ بالتحريك: الأَمْنُ. ومنه قوله عز وجل: [**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً**][3] والأَمَنَةُ أيضاً: الذي يثق بكلِّ أحد، وكذلك الأُمَنَةُ. وأَمِنْتُهُ على كذا وائْتَمَنْتُهُ بمعنىً[4].

١- سورة الحديد، الاية : ١٩.

٢- ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ، الدار الشامية بيروت، ودار القلم دمشق، ص٩٠-٩١.

٣- سورة آل عمران، الآية:١٥٤.

٤- ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ترتيب خليل مأمون شيحا، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ص ٦٢-٦٣.

الإيمان في الاصطلاح النبوي: لاشك فيه إن أفضل وأصح تعريف للإيمان هو ما عرفه النبيﷺ في جوابه عن سؤال جبريل عليه السلام حين سأله ما الإيمان؟ فقال ﷺ: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[1]. ويؤدي هذا الإقرار إلى ما يلي:

أ- الإحساس بالتجانس في الكون واتساق القوانين المنظمة لهذا الكون لأن مصدرها واحد وبالأحرى سيؤدي هذا الى الإحساس بعدم التناقض بين القوى الدنيا في تفاعلها مما يجعل الإنسان يحس بالاستقرار ثم الاطمئنان، وذلك من خلال الاطمئنان إلى حكم الله الواحد والرضى بقضائه.

ب- الإحساس بقدرة الله الواحد في خلق هذا الكون الأمر الذي يؤدي إلى الاطمئنان إلى هذه القدرة والرضى بقضاء الله خيره وشره، مما يؤكد على مزيد من الاطمئنان النفسي.

ج- الإحساس بحاكمية الله وما كان الله ليحكم من غير حكمه وعلى هذا فمستقبل الإنسان وحياته وقدره مضمون ومحكوم بالحكمة الإلهية[2]... مما يزيد

١- رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، الرقم:٥٠. والمسلم، كتاب الإيمان،باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه، واللفظ للمسلم، الرقم:١. والترمذي، كتاب الإيمان عن رسول اللهﷺ، باب ما جاء في وصف جبريل للنبيﷺ الإيمان والإسلام، الرقم: ٢٦١٠.

٢- والمراد من الإرادة هنا الإرادة الكونية عند أهل السنة، كما بينها شيخ الاسلام ابن تيمية: وينقسم ابن تيمية الإرادة الى قسمين: أحدهما: نوع بمعنى المشيئة العامة، وهذه هي الإرادة الكونية القدرية، فهذه الإرادة كالمشيئة شاملة لكل ما يقع في هذا الكون، وأدلة هذا النوع كثيرة، منها قوله تعالى: [فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا] الأنعام: ١٢٥. فهذه الإرادة لا تستلزم المحبة، وليست بمعناها.

الإنسان ثقة في نفسه وحاضره ومستقبله، وهو ما يقلل من قلقه ويدفعه إلى مزيد من الاطمئنان[1].

إن العقيدة الإسلامية وما اشتملت عليها من أصول الإيمان تعد أعظم وسيلة لتربية النفوس وتهذيبها ومنعها من الانحراف، ذلك لما لها من أثر كبير في سلوك الإنسان وتفكيره وتحقيق السعادة البشرية والاستقامة والانضباط، ومن آثار هذه العقيدة على الإنسان المسلم حمايته من الانحراف والفساد والخواء الروحي والقلق النفسي وغيرها.

المطلب الثاني: الإيمان والأمن النفسي:

الأمن النفسي هو: الشعور بالهدوء، والسكينة، وسلام الروح، وأن يحيط بك الاطمئنان في كل لحظة وفي كل جانب من جوانب حياتك[2].

يغمر الإيمان في قلب الإنسان ينابيع للسعادة تتجلى في السكينة والاطمئنان والأمن والرضا والمحبة، فمن أدرك حقيقة أن الله موجود لذاته، بل أنه واجب الوجود وأيقن بربوبيته المطلقة، وأنه الفعال لما يريد وهو الذي لا يسأل عما يفعل، علم أن ما في الكون كله إنما يسير وفقاً لإرادته، عندها تطمئن نفسه

والثاني: نوع بمعنى المحبة والرضى، كقوله تعالى: [يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] البقرة:١٨٥، وهذه هي الإرادة الدينية الشرعية.وهذه الإرادة هي المستلزمة للمحبة والرضى، وهي المستلزمة للأمر. ينظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، تحقيق وتخريج عامر الجزار و أنور الباز، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الوفاء، المنصورة، م٤ ج٨ص ١١٤-١١٥.

١- الدكتور عمر شاهين، مقالة بعنوان: الإسلام والصحة النفسية، الموقع الالكتروني، http://www.islamonline.net..

٢- الأستاذة ناهدة عبد العال الخراشي، دراسة بعنوان، أثر القرآن في الأمن النفسي، الموقع الالكتروني، http://www.islamonline.net.

وتسكن لعلمها أن الإنسان في رعاية الله الرحيم بعباده، الحكيم بتدبيره وهذا كله يشعر الإنسان بمحبة الله تعالى لعباده، ويؤمن له الراحة والرضا والأمان النفسي.

سكينة النفس هي الينبوع الأول للسعادة، فلا سعادة بلا سكينة النفس وطمأنينة القلب، ومصدر هذه السكينة والطمأنينة الإيمان بالله تعالى، لأن في ذلك تبدداً لكل خوف وقلق، وزوالاً لكل غم وهم، إذ أن فقدان الإيمان يجعل المرء قلقا حائراً وإن حيزت له ملذات الحياة، بسبب جهله بحقيقة نفسه وسر وجوده، ومن جهل نفسه ابتعد عن الله ومن عرفها عرف ربه، وبالتالي يصبح المرء البعيد عن روضة الإيمان عرضة للإصابة بالاضطرابات النفسية الناجمة عن عثرات الأيام ومشكلات المجتمعات[1].

والإيمان ركن هام في تكوين الشخصية وعامل من عوامل استقرارها يربط الإنسان بالكون وخالقه وينظم علاقته مع الآخرين ويوضح له الطريق الصحيح السليم يسلكه للوصول الى هدف واضح ومحدد، والإيمان يعلمنا الصبر وتقبل القضاء والرضا به، كما أنه يفتح لنا باب الغفران ويقلل الشعور بالذنب المتراكمة إذا حدابنا عن الطريق، والدنيا كما نعلم دار اختبار، يبتلينا فيها الله بالخير والشر: [**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**][2] فالله يبتلينا بالسراء والضراء والغنى والفقر وبالصحة والمرض بل إن المؤمنين يرددون دعاء على مدى استيعابهم لهذا المنطق[3]. كما يعلمنا النبيﷺ دعاءه في

١- د.أسامة اسماعيل قولي، العلاج النفسي بين الطب والإيمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص٤٠١.

٢- سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

٣- د. محمد غانم، الموقع الالكتروني: واحة النفس المطمئنة، http://www.elazayem.com/ مقالة بعنوان: المؤمنون لا يمرضون نفسيا.

هذا المجال حيث يقول: اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما بعدت، ولا مباعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف، اللهم عائذ من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا[1].

معنى الأمن النفسي يعرف بأنه: "القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التي تطرأ على الإنسان، ويرافقها الإحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية، ويكون ذلك عادة بإشباع أكبر قدر من حاجاته الأساسية للأمن والحب وإثبات الذات والإنجاز والنجاح[2].

واذا افتقد الإنسان الصحة النفسية وطمأنينة القلب تتصف شخصيته بجملة ما يأتي: -

١. الشعور بالخوف والخطر والتهديد .
٢. أن الحياة والعالم مكان خطير مظلم وفيه عداء وتحد.
٣. يغلب عليه سوء الظن حيث يرى أن الآخرين خطرون وعدوانيون.
٤. تنتابه مشاعر الحسد والغيرة.

١- رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب المغازي و السرايا، باب فداء أبي العاص ارسلت به زينب بنت رسول الله الرقم:٤٣٥١. و كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، باب دعاؤهﷺ يوم أحد، الرقم: ١٨٨٣.

٢- د.ليلى احمد الاحدب، الموقع الالكتروني: واحة النفس المطمئنة، http://www.elazayem.com/ مقالة بعنوان: الإيمان.. وأثره على الصحة النفسية.

٥. متشائم ويتوقع حدوث الأسوأ.

٦. الشعور بعدم السعادة والرضا.

٧. تسيطر عليه مشاعر التوتر الانفعالي وغير ذلك[١].

تظهر حديثا اتجاهات بين بعض علماء النفس تنادي بأهمية الدين في الصحة النفسية وفي علاج الأمراض النفسية وترى أن في الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس في العصر الحديث الذي يسيطر عليه الاهتمام الكبير بالحياة المادية، ويسوده التنافس الشديد من أجل الكسب المادي، والذي يفتقر إلى الغذاء الروحي، مما سبب كثيراً من الضغط والتوتر لدى الإنسان المعاصر، وجعله نهبا للقلق، وعرضة للإصابة بالأمراض النفسية[٢].

ومن بين من نادى بذلك من علماء النفس المحدثين (وليام جيمس)[٣]: أحد علماء النفس والفلاسفة الأمريكيين: إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان

١- سميرة حسن عبدالله أبكر، الحاجة للإيمان وأثرها على الأمن النفسي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية البنات- جدة- السعودية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٩١-٩٢.

٢- د.محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، الطبعة السابعة، دار الشروق١٤٢١هـ-٢٠٠١م، القاهرة، ، ص ٢٦٨-٢٦٩.

٣-وليم جيمس (١٨٤٢-١٩١٠) فيلسوف أمريكي ومن رواد علم النفس الحديث. كتب كتبا مؤثرة في علم النفس الحديث وعلم النفس التربوي، وعلم النفس الديني والتصوف، والفلسفة البراغماتية. له العديد من المؤلفات منها: الإرادة، الاعتقاد، مبادئ علم النفس، البراغماتية. ينظر:د.نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، دار الصداقة العربية، بيروت-لبنان، ج٢ص١٦٦-١٦٧.

بلا شك، وقال: الإيمان من القوى التي لابد من توافرها لمعاونة المرء على العيش، وفقدها نذير بالعجز عن معاناة الحياة[1].

وقال أيضاً: إن بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه – تعالى – تحققت كل أمنياتنا وآمالنا " وقال: إن أمواج المحيط المسطحة المتقلبة لا تعكر قط هدوء القاع العميق، ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله الخالق، فإنه لا تعكر طمأنينته التقلبات السطحية المؤقتة، فالرجل المتدين حقاً عصي على القلق، محتفظ دائما باتزانه، مستعد دائما لمواجهة ما عسى أن تأتي به الأيام من صروف[2].

ويقول: (أ.أ.بريل)[3] المحلل النفسي: إن المرء المتدين حقاً لايعاني قط مرضاً نفسياً[4].

---

[1]– ديل كارينجي، دع القلق و ابدأ الحياة، ترجمة: عبد المنعم الزيادي الطبعة الخامسة،– ١٩٥٦م، مكتبة الخانجي– القاهرة، ص ٢٢٦.

٢– ديل كارينجي، دع القلق و ابدأ الحياة، ص٢٣٢.

٣– أ.أ.بريل: أبراهام أردن بريل ١٨٧٤–١٩٤٨ مارس طبيب نفساني، ولد في النمسا، وتخرج من جامعة نيويورك، في ١٩٠١ ، حصل على درجة دكتوراه في الطب من جامعة كولومبيا ١٩٠٣. بعد دراسات مع الفريق الاستشاري جونغ في زيوريخ، سويسرا، وعاد الى الولايات المتحدة في ١٩٠٨ لتصبح واحدة من أحدث وأهم الأسس أقرب من التحليل النفسي، كونها الأولى أن تترجم إلى اللغة الإنجليزية من معظم الأعمال الرئيسية ل فرويد. عمل أستاذا في جامعة نيويورك وجامعة كولومبيا. من مؤلفاته: (التحليل النفسي: نظرياته والتطبيق العملي١٩١٢)، و (المفاهيم الأساسية من التحليل النفسي١٩٢١).

٤– ديل كارينجي، دع القلق و ابدأ الحياة، ص: ٢٢٢.

ويقول (كارل يونج)[1] : لم أجد مريضاً واحداً من مرضاي، من لم تكن مشكلته في أساسها هي افتقاره إلى وجهة نظر دينية في الحياة وأستطيع أن اقول إن كل واحد منهم قد وقع فريسة المرض لأنه فقد ذلك الشيء الذي تمنحه الأديان[2].

وأثبتت دراسة العالم النفسي الأمريكي (هنري لينك)[3] أن الأشخاص المتدينين والذين يترددون على دور العبادة يتمتعون بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين لهم أو لا يقومون بأية عبادة[4].

وأكدت نتائج دراسة لـ(روث آن فنك)[5] هذه الحقيقة فقد ذكر ٧٠٪ من أفراد عينته أن العقيدة الدينية منحتهم راحة العقل ، وذكر ٦١٪ أن العقيدة جعلتهم يشعرون بالأمن والأمان وذكر ٨٢٪ أنه يمكننا دوماً الاتجاه إلى الله عندما نكون في ضيق ، وذكر ٨٥٪ منهم أن العقيدة تعيننا على أن نكون أشخاصاً أفضل وذكر ٧٨٪ أن إدراكهم بأن الله دائماً معهم يشعرهم بالأمان[6].

١- يونج، كارل جوستاف(1875-1961) م). عالم سويسري مختص في علم النفس والطبّ النفسي، قام بتطوير مجال علم النفس التحليلي. وقد تخطت دراساته علم النفس وأثّرت على مجالات أخرى شملت علم الأجناس، والفلسفة، واللاهوت. عارض يونج كثيرًا من النظريات لعالم النفس النمساوي الشهير سيجموند فرويد، من مؤلفاته: علم النفس والدين، والانسان الحديث في البحث عن الروح، و العلاقات بين الأنا واللاشعور، وغيرها. انظر: د.نبيل موسى، موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي، ج٢ص ٤٧١-٤٧٢.

٢- د. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ص ٢٤٨.

٣- هنري لينك: لم يعثر الباحث على ترجمته.

٤- د يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص ٣٤٢.

٢٩- روث آن فنك: لم يعثر الباحث على ترجمته.

٦- سميرة حسن بكر، الحاجة إلى الإيمان وأثره على الأمن النفسي، ص ١٠٤.

ويقول (ديل كارينجي)[1] : إنَّ أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا هذه الأمراض[2].

وأشار المؤرخ (أرنولد توينبي)[3] إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوربيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه الرجوع إلى الدين[4].

١- ديل كارينجي (Dale Carnegie)؛ مؤلف أمريكي ومطور الدروس المشهورة في تحسين الذات ومدير معهد كارنيجي للعلاقات الإنسانية ولد عام ١٨٨٨ توفي عام ١٩٥٥، من أهم مؤلفاته: (دع القلق وابدأ الحياة) و(كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس)، (وفن الخطبة) و (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس) وغيرها. ينظر: ديل كارينجي، دع القلق وابدأ بالحياة، ص ٥-١١.

٢- ديل كارينجي، دع القلق و ابدأ الحياة، ص ١٠٣.

٣- أرنولد تُوينبي ولد في لندن، عام ١٨٨٩، ودرس اليونانية واللاتينية في أكسفورد، وتوفي في عام ١٩٧٥.يُعد تُوينبي أحدثَ وأهمِّ مُؤرِّخ بحَثَ في مَسألة الحضارات بشكلٍ مُفصَّلٍ وشامِلٍ، ولاسيِّما في موسوعته التاريخيَّة المُعنونَة ''دراسة للتاريخ'' اهتم توينبي بالحضارة الهيلينية، ودرس الأديين اللاتيني واليوناني في جامعة أكسفورد. من مؤلفاته فكثيرة، أشهرها: (دراسة التاريخ) و(الحضارة في الميزان) و(الوحدة العربية آتية من النيل إلى النيجر) و(تاريخ البشرية) و(فلسطين جريمة ودفاع) و(العالم والغرب). ينظر: د.عبدالمنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج١ص٤٢٠. و د.إحسان محمد الحسن، موسوعة علم الإجتماع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، الدار العربية للموسوعات، بيروت-لبنان، ص٥٢-٥٣.

٤- ينظر: أرنولد توينبي، الحضارة في الميزان، ترجمة: أمين محمود الشريف، مراجعة: محمد بدران، بدون عدد الطبع ولا تاريخ النشر، دار أحياء الكتب العربية، ص٢٠٧-٢٠٨.

هذا بعض ما قاله علماء الغرب أما علماء المسلمين فلا شك أنهم يقولون بأكثر من هذا فنصوص القرآن والسنة صريحة في أن الشفاء في القرآن الكريم .

لقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة جدا تؤكد على أن شفاء الأمراض النفسية، وعلى رأسها القلق هو في الإيمان بالله، وذكره، وتلاوة كتابه (القرآن الكريم)، وأن الأمن، والأمان، والطمأنينة، وانشراح الصدر، والسكينة، كل ذلك لا يعدو الإيمان الصادق ولا يفارقه.

فالقلوب إنما تطمئن بذكر الله تعالى[**الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**][1]، وأبرز ما يميز الذين آمنوا: أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله، ونلاحظ تغيير الصيغة من الماضي في (**آَمَنُوا**) الى المضارع في(**تَطْمَئِنُّ**) بدلاً من أن يقول واطمأنت ؛ ليفيد التجدد أي إن هذا الاطمئنان يتجدد دائما وباستمرار معهم.

فالسعادة إنما تنبع من الطمأنينة، والطمأنينة تنبع من الداخل لا من الخارج، من القلب، ولذا نجد أهل الحضارة المادية المعاصرة الذين اخترعوا كثيرا من المنجزات العلمية المتطورة، ومع ذلك لم يسعدوا في حياتهم الدنيا، ونراهم يسمون الحضارة المعاصرة(حضارة القلق) ويسمون عصرنا هذا(عصر القلق)، ولذلك تكثر الأمراض النفسية ، وانتشرت العيادات النفسية في أمريكا مما تعد بالالاف بل بعشرات الالاف، والناس يشكون من العقد والاضطرابات العصبية

١ – سورة الرعد، الآية:٢٨.

والنفسية ومن الضيق بالحياة، فالحياة لا طعم لها ولا معنى عندهم، ولم تسعدهم معطيات الحضارة المادية الهائلة[1].

وفي الطمأنينة انشراح للصدر وزوال للضيق والقلق، قال تعالى: [**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**][2]. ومن شرح الله صدره بالإيمان هدأت سريرته ونزلت عليه السكينة ، واطمأنت نفسه وزال قلقه فيشعر بالرضا ويبتعد عن الآثام والمعاصي [**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**][3]. فينعم بالأمن والطمأنينة ولايخاف من شيء في هذه الدنيا إلا الله ولا يحزن: [**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**][4]، وتتم النعمة بدخول الجنة والفوز بما فيها من النعم .

ما الذي يبقى من القلق في قلب من ذكر الله فاطمأن قلبه بالإيمان وانشرح صدره بالإسلام ونزلت عليه السكينة وزال خوفه وحزنه ورضي الله عنه وأرضاه ؟ وما الذي يفتقده مثل هذا المؤمن؟ وما الذي يحتاجه من أمور الدنيا الزائلة الزائفة ؟ هل يمكن أن يقوم على عمل يعلم أنه يهدم أمانيه ويحطم آماله؟! هل يمكن أن يرتكب جريمة أو شبهها وهو يرجو ما عند الله؟ هل يمكن

---

١ – ينظر: الدكتور يوسف القرضاوي، تفسير سورة الرعد، اعداد محمود عوض، الطبعة الثانية١٤١٨هـ١٩٩٨م، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ٢٢٧وما بعدها.

٢ – سورة الزمر، الاية : ٢٢.

٣– سورة الفتح، الآية:٤.

٤– سورة البقرة، الآية: ٣٨

أن يأخذ حق غيره وهو يعلم أنه سيحرمه رضا الله ؟! كيف والنصوص صريحة في أن الإيمان يمنع من ذلك[1].

إن ما يقلق الإنسان دوما وينغّص حياته، هو تفكيره الدائم في مصيره، وكيفية دخوله القبر، مثلما انتهى إليه مصير أحبته وأقاربه، فتوهم الإنسان المسكين- الذي يضحي بروحه لأجل صديق عزيز- وتصوره من أن آلافاً بل ملايين الملايين من إخوانه البشر ينتهون الى العدم بالموت - ذلك الفراق الأبدي الذي لا لقاء وراءه- سيذيقه هذا التصور ألماً شديداً ينبئ بآلام جهنم، وحينما يتلوى هذا الإنسان من ألم ذلك العذاب الأليم النابع من ذلك التفكير، يأتي "الإيمان بالآخرة" فاتحاً بصيرته مزيلاً الغشاوة عن عينيه، قائلاً له: انظر .. فينظر بنور الإيمان، فإذا به يكسب لذة روحية عميقة تنبئ بلذة الجنة، بما يشاهد من نجاة أحبته وخلاصهم جميعاً من الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار، ومن بقائهم في عالم النور الأبدي منتظرين قدومه إليهم[2].

إن المؤمن ليس على الماضي باكيا حزينا، ولا يلقى الحاضر جزوعا ساخطا، لايواجه المستقبل خائفا وجلا، ولايعيش في فزع منه، ورهبة من غموضه، وتوجس من جبروته، كأنه عدو شرير متربص، بل يعيش آمن النفس كأنه في الجنة، إن إيمانه بالله الذي بيده الخير والشر و لا راد لقضائه يكون مصدر أمنه، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة بل هو نوع منها، إنه طمأنينة تتعلق بالمستقبل، بكل ما يتوقعه الانسان ويخاف منه، أويخاف عليه، ولاسعادة بدون

١- د. يوسف القرضاوي، تفسير سورة الرعد، ص ١٠٣.

٢- بديع الزمان سعيد النورسي، الثمرة من شجرة الإيمان، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الخامسة ٢٠٠٨م، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ص٧٩-٨٠.

هذا الأمن النفسي، وقد قيل لحكيم: ما السرور؟ فقال: الأمن فإني وجدت الخائف لا عيش له[1].

وقد صرّح القرآن الكريم بأن المؤمن أحق بالأمن والطمأنينة من غيره يقول سبحانه وتعالى: [**وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ❖ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**][2].

الحوار للنبي ابراهيم عليه السلام وهو يواصل دحضه لحجة المشركين الذين كانوا يجادلونه، كما هو الأمر لنبينا محمد ﷺ أمام مشركي مكة- أن كيف يخاف هو ما يشركون بالله من أصنام باطلة لاحول لها ولا قوة، وهم لايخافون ماهو أولى بالخوف، أنهم عبدوا أصناماً وأشركوها مع الله بغير سلطان أنزل عليهم من علم أو حجة مستقيمة، ويسألهم: أي الفريقين أحق وأولى بالأمن من الخوف- فريقه الذي انحاز الى الله العلي فاطر السماوات والارض الذي ينبغي أن يسلم له الانسان اسلاما يهبه الأمن والطمأنينة، أم فريق الالهة العاجزة التي يخوفون بها، أيهما أحق بالسكينة إن كانوا هم حقا يعلمون قدر النجوم والأوثان التي توهموها معبودة من دون الله وما هي إلا آيات تدل على خالقها الاعلى؟.

وفي ختام محاجة ابراهيم عليه السلام ومساءلته لقومه أي الفريقين فريق الشرك وفريق التوحيد أولى بالخوف أو الأمن، تقضي آية القرآن بالحق بينهما: ذلك أن المؤمنين الذين لم يلبسوا إيمانهم خلطا والتباسا بالشرك بل محوا تلك

١- ينظر: د. يوسف القرضاوي، الايمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ص١٢٧.

٢- سورة الأنعام، الاية: ٨٢-٨١.

الغاشيات وحرّروه إيمانا حقا خالصا لله دون ظلم الشرك العظيم، أولئك لهم الامن في الدنيا باطنا بذكر لله باطنا تطمئن به القلوب وظاهرا بحفظ من الله العليم، وفي الاخرة إذ يلقون ربهم راضين مرضيين لا في عذاب ولا في خطر، وهم مهتدون خرجوا من الضلال المبين بين الآلهة الآفلة موجهين وجههم الى الله الذي هداهم ومن يضلل الله فلا هادي له ومن يهد فلا مضل له[1].

فهو يوكل المؤمن إلى مشيئة الله وحمايته ورعايته، ويعلن أنه لا يخاف من آلهتهم شيئاً، لأنه يركن إلى حماية الله ورعايته، ويسلم أنه لا يصيبه إلا ما شاء الله، ووسعه علمه الذي يسع كل شيء، أنه منطق المؤمن الواثق المدرك لحقائق هذا الوجود، فإن كان أحد قمينا بالخوف فليس هو إبراهيم – وليس هو المؤمن الذي يبايع الله ويمضي في الطريق – وكيف يخاف آلهة عاجزة – أياً ما كانت هذه الآلهة، التي هي تتبدى أحياناً في صورة جبارين في الأرض بطاشين ؛ وهم أمام قدرة الله مهزولون ضعفاء! كيف يخاف إبراهيم هذه الآلهة الزائفة العاجزة، ولا يخافون هم أنهم أشركوا بالله ما لم يجعل له سلطاناً ولا قوة من الأشياء والأحياء ؟ وأي الفريقين أحق بالأمن ؟ الذي يؤمن بالله ويكفر بالشركاء ؟ أم الذي يشرك بالله ما لا سلطان له ولا قوة ؟ أي الفريقين أحق بالأمن، لو كان لهم شيء من العلم والفهم؟ هنا ينزل الجواب من الملأ الأعلى، ويقضي الله في حكمه في هذه القضية : [**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ**

١- حسن الترابي، التفسير التوحيدي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، دار الساقي، بيروت-لبنان، ج١ص٦٢٠-٦٢١.

وَهُم مُّهْتَدُونَ[1] الذين آمنوا وأخلصوا أنفسهم لله، لا يخلطون بهذا الإيمان شركاً في العبادة ولا طاعة ولا اتجاه. هؤلاء لهم الأمن، وهؤلاء هم المهتدون[2].

إن رصيد الإيمان الذي تقوم الأمة المسلمة حارسة عليه في الأرض ووارثة له منذ أقدم الرسالات هو أكرم رصيد وأقومه في حياة البشرية إنه رصيد من الهدى والنور ومن الثقة والطمأنينة ومن الرضى والسعادة ومن المعرفة واليقين وما يخلو قلب بشري من هذا الرصيد الا حين يجتاحه القلق والظلام وتعمره الوساوس والشكوك ويستبد به الأسى والشقاء ثم يروح بتخبط في ظلماء دامسة لا يعرف أين يضع قدميه في التيه الكئيب وصرخات القلوب التي حرمت هذا الزاد وحرمت هذا الأنس وحرمت هذا النور صرخات موجعة في جميع العصور هذا إذا كان في هذه القلوب حساسية وحيوية ورغبة في المعرفة ولهفة على اليقين فأما القلوب البليدة الميتة الجاسية[3] الغليظة فقد لا تحس بهذه اللهفة ولا يؤرقها الشوق إلى المعرفة ومن ثم تمضي في الأرض تأكل وتستمتع، وتزاول الطغيان والجبروت والبغي والبطش وتنشر الفساد في الأرض ثم تمضي ملعونة من الله ملعونة من الناس، والمجتمعات المحرومة من تلك النعمة مجتمعات بائسة وحتى إذا غرقت في الرغد المادي فهي خاوية، وأن تراكم فيها الإنتاج فهي قلقة وإن توافرت لها الحريات والأمن والسلام فهي مضطربة النفس ميتة الضمير، وأمامنا في أمم

١- سورة الأنعام، الآية : ٨٢.

٢- سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الشروق بيروت ، م٢، ص ١١٤٢.

٣- الجاسية: (جسا) الشيءُ(يجسو) إذا يبس وصلب. احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، قاموس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م، دار الفكر، بيروت- لبنان، ص ٥٩.

الأرض شواهد على هذه الظاهرة لا ينكرها إلا مراوغ يتنكر للحس والعيان والمؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله يتوجهون إلى ربهم بالطاعة والتسليم، ويعرفون أنهم صائرون إليه فيطلبون مغفرته من التقصير ويقولون سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، ويتجلى في هذه الكلمات أثر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله يتجلى في السمع والطاعة السمع لكل ما جاءهم من عند الله والطاعة لكل ما أمر به الله فهو إفراد الله بالمعبودية كما ذكرنا من قبل والتلقي منه في كل أمر فلا إسلام بلا طاعة لأمر الله وإنفاذ لنهجه في الحياة وبلا إيمان راسخ حيث يعرض الناس عن أمر الله في الكبيرة والصغيرة من شؤون حياتهم، أو حيث لا ينفذون شريعته أو حيث يتلقون تصوراتهم عن الخلق والسلوك والاجتماع والاقتصاد والسياسة من مصدر غير مصدره فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل[1].

فالحياة كنوز ونفائس وأعظمها الإيمان بالله وطريقها منارة القرآن الكريم، والإيمان إشاعة الأمان، والأمان يبعث الأمل، والأمل يبعث السكينة، والسكينة نبع السعادة حصادها هدوء نفسي، فلا سعادة بلا سكينة نفس، ولا سكينة نفس بغير إيمان، ومما لا شك فيه أن للقرآن الكريم أثراً عظيماً في تحقيق الأمن النفسي والطمأنينة القلبية والسكينة، والسكينة نور يسكن إليه الخائف ويطمئن عنده القلق، والقرآن الكريم فيه من عطاء الله ما تحبه النفس البشرية وتميل إليه، إنه يخاطب ملكات خفية في النفس، تنفعل حينما يقرأ الإنسان القرآن، ولذلك حرص الكفار على ألا يسمعه أحد لأن كل من يسمعه سيجد له حلاوة وتأثيراً قد يجذبانه إلى الإيمان، ولا شك أن في القرآن الكريم طاقة

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، م١ص٣٤٣-٣٤٤.

روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يهز وجدانه، ويصقل روحه ويوقظ إدراكه وتفكيره ويجلي بصيرته، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً، وإن كل من يقرأ تاريخ الإسلام ويتتبع مراحل الدعوة الإسلامية منذ أيامها الأولى ويرى كيف تكون تغير طبائع الأفراد يستطيع أن يدرك مدى التأثير العظيم الذي يحدثه القرآن الكريم في نفوسهم، وتمدنا دراستنا للتاريخ بأدلة عن نجاح الإيمان بالله في شفاء النفس البشرية من أمراضها وتحقيق الشعور بالأمن بالطمأنينة، وقد بين القرآن ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن[1].

كما أكد (هايكو إيرنست)[2] على أنه تبدَّى من خلال عدد متزايد من الدراسات وجود تأثير وثيق وإيجابي متبادل بين الإيمان"التدين والحالة الصحية" فمن يؤمن بإله خير أو بأي قوة سامية أو حتى "بمجرد" معنى أعمق للحياة فإنه يتغلب على أزمات الحياة والمشقة (الإرهاق) والصراعات النفسية والاجتماعية بسهولة كبرى ؛ فالإيمان يسهل وجود" إستراتيجيات تأقلم" فاعلة، وبالتالي فهو أقل تعرضا للأمراض النفسية والجسدية. فالإيمان يؤثر وقائيا، ويبدي- إذا ما وقع المرض- ثقة كبرى بسيرورة الشفاء وينمي هذه السيرورة، إنه يسهل حصول الشفاء.

١- د. محمد دودح، الموقع الالكتروني، http://www.islamonline.net، مقالة بعنوان: الإيمان شفاء للنفوس والأبدان.

٢- هايكو إيرنست:

وقد قوم النفساني العيادي (ديفيد لارسون)[1] بصورة منهجية كل الدراسات التي نشرت في أكبر مجلتين متخصصتين في الطب النفسي بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٩ فيما يتعلق بالعلاقات بين الإيمان والصحة النفسية، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن التدين يؤثر في ٨٤٪ من الحالات بشكل إيجابي، وفي ١٣٪ بشكل حيادي، وفي ٣٪ فقط ظهر أن التدين مضر صحيا.

تقوية مناعة الفرد النفسية في الإسلام يعتمد الأسلوب التربوي في ثلاثة مناحٍ:

المنحى الأول: هو تقوية الجانب الروحي في الإنسان عن طريق الإيمان بالله وتقواه.

المنحى الثاني: أداء العبادات المختلفة لتعزيز الجانب الروحي والصفاء النفسي.

المنحى الثالث: هو السيطرة على الدوافع الغريزية في الإنسان والتحكم في أهواء النفس التي تؤدي إلى المعاصي[2].

أما حيث يفتقد الإيمان فإن الإنسان بضلاله عن الله لا يرى في الوجود إلا ذاته يتعبد لها بإشباع شهواته واتباع هواه ويلتمس الكمال في الطلاقة من كل قيد يحد شهوة بطنه وفرجه والتعالي عن كل ضابط يكفكف من كبريائه وخيلائه،

١- ديفيد لارسون: الطبيب النفسي ديفيد لارسون هو رئيس المعهد القومي لبحوث العناية بالصحة ومؤلف الكتاب التعليمي "العنصر المنسي" الذي قام بتأليفه بالاشتراك مع زوجته سوزان.ويناقش في كتابه هذا العلاقة بين الصحة والدين، أبحاثه الواسعة ومنشوراته جذبت له الأنظار مما ساهم في تمويل المعهد القومي لأبحاث العناية بالصحة. فبرنامج الإيمان في الطب الذي يموله المعهد يعطي منحا قدرها عشرة آلاف دولار لمدارس الطب لدراسة مناهج حول الدين والصحة. وكانت جامعتا جونز هوبكنز وجورج واشنطن من بين أحد عشر مدرسة تلقت تلك المنح. الموقع الالكتروني: منتدى المهندس/http://www.ingdz.com/ ..

٢- د. ليلى احمد الاحدب، الموقع الالكتروني: واحة النفس المطمئنة، http://www.elazayem.com/ مقالة بعنوان: الإيمان.. وأثره على الصحة النفسية.

ولكن الهوى السادر يهوي بصاحبه ويرديه، أو يذهب الإنسان في طلب المسرات والمتع حتى يورد نفسه موارد الهلاك – كالذي يتعاطى المسكرات والمخدرات طلباً للنشوة ولا يبالي مغبة ذلك في صحته ووقته وماله وعلاقاته، والذي يلتمس شهوة الجنس كيفما اتفق له ولا يهتم بأثر ذلك على الزوجية وما تتضمنه من معاني الوفاء والتوقير والاستقرار في علاقات الذكر والأنثى والأسرة وما تؤديه من وظائف اجتماعية في تربية النشء وتهيئة إطار محدود يتوافر فيه التضامن والود الوثيق، والذي يركن برأسه وهواه أقل اكتراثاً بما لا يرتد إليه بالضر المباشر، بيد أن المجتمع بعضه من بعض لا تفشو فيه الجرائم ومفاسد الأخلاق إلا عادت عليه بالخسران الشامل فيلقي طاقته الاقتصادية نافرة وأمنه السياسي وطمأنينته النفسية عزماً[1].

ونحن نرى في عصرنا إن كثرة الأمراض النفسية تجوب خلال الديار لتدفع بالناس الى جحيم الحياة أو جريمة الانتحار، فكل ذلك ماهو الا نتيجة لضعف البناء النفسي في دخيلة الإنسان. بسبب فقدان الإيمان الذي يمنحها ملكة الصبر والاستقرار، وتحمل ما يلاقيها من البلاء بقدر محتوم ومقدار محكوم، فكلما زادت الثقة والإيمان بالله زادت قوة التحمل، وقد تصل هذه القوة الى درجة التحدي للمصائب والنوازل[2].

١- الدكتور حسن عبدالله الترابي، الإيمان أثره في حياة الإنسان، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، منشورات عصر الحديث، ص ٢١٨ .

٢- الدكتور يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ١٩٩٣م، دار الامان- المغرب، ص٢١٨.

المطلب الثالث: أثر الإيمان في مواجهة الشدائد والمصائب:

فإن الإيمان بالله العزيز القدير في قلب الإنسان له دور كبير في مواجهة الصعوبات والعوائق على طريق الحياة البشرية، فإن من سنن الحياة الدنيا أن لا تخلو من النكبات والمحن، وهذه المصائب تصب الانسان باليأس والقنوط والانهزام وفي بعض الحالات يلجأ الانسان الى الإندحار ولا يصبر عليها، وفي هذه الحالات يظهر قيمة الايمان بالله، وهذا الإيمان يحمل الإنسان على التحلي بالصبر والسلوان، ويفهمه على أن ثمرة الصبر جزاء كبير عند الله وأن هذه الحياة مرحلة الابتلاء، كما قال سبحانه وتعالى: [**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ❖ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ❖ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**][1]، الإبتلاء من سنن الله في الحياة، فإن المؤمن اذا أصابه شئ من هذه المصائب يؤمن أنه من قدرالله ومن سننه الكونية، ويجب عليه الصبر والرضاء بقدر الله، ويرجو الثواب من الله، واذا اصابه أي مصيبة يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، وهو يؤمن بالبعث بعد الموت وفي يوم القيامة يمثل أمام الله وكل نفس توفى بما عملت ولا يظلم أحد عند الله ولا تخفى عنه سبحانه لا كبيرة ولا صغيرة من أعمال عباده.

وبهذا يوطن الله نفس المؤمن ويعده لتحمل ما يحل به من نوازل من غير جزع ولا فزع، ولا اضطراب نفسي أو عصبي قد يؤدي الى الانتحار أو الأمراض العصبية و النفسية.

---

١ - سورة البقرة: الآيات:١٥٥-١٥٦-١٥٧.

فلو لم يكن في الإيمان بالله إلا هذا لكفى به مصلحة ضرورية لحياة الإنسان الفردية. ولكن الإيمان بالله لا يحمي الإنسان من هذه المضار فحسب، بل يشحن قلب المؤمن ووجدانه بالأمل، ويدفعه بجوارحه الى العمل، فلا يجد اليأس والقنوط طريقا الى قلبه بسبب ما قد يحصل له من الفشل في تحقيق نتائج العمل، لأنه لا يقدم على العمل إلا وهو مؤمن: يتوقع النجاح والفشل، لأنه يعلم علم اليقين ويؤمن إيمانا صادقا، أنه لا يستطيع التحكم في نتائج أعماله، مهما كانت الأحوال، لأن قدرة الله فوق اقتداره[1].

فبالإيمان بالقضاء يتحقق التوكل على الله والتفويض إليه بعد الأخذ بالأسباب والاعتراف بأن ناصية الإنسان في يد الله يصرّفه كيف يشاء، وأنه ماض فيه حكمه، عدل فيه قضاؤه.

ثم إن الرضا بقضاء الله سبحانه وتعالى يسكب في النفس يقينا وسكينة وطمأنينة؛ فلا يبالغ المؤمن في حزنه ولا في فرحه:[**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ❖ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**][2] وعدم المبالغة في الحزن والفرح دليل على التوازن الانفعالي ومؤشر على تمتع الشخص بالصحة النفسية. ومن هنا نفهم قول النبي ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له. وإن أصابته

١ – الدكتور يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الاسلامية، ص٢٢٠-٢٢١.

٢ – سورة الحديد، الآيات:٢٢-٢٣.

ضراء صبر فكان خيرًا له[1]. وفي هذا تعبير عن حالة متقدمة جدًّا في الصحة النفسية[2].

والسخط ضد الرضا، وفيه شقاوة الساخط، كما قال رسول الله ﷺ: " من سعادة ابن آدم استخارته إلى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله[3]. وقد جعل الله فيه الهم والغم والحزن، وشتات القلب، وكسف البال، وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله، وقلة اليقين.

وأما الرضا فيفرغ القلب، ويقلل همه وغمه، فيتفرغ لعبادة الله باخلاص واطمئنان وتخفف من أثقال الحياة، وهمومها، وغمومها. والسخط من سوء الخلق؛ لأن الساخط مخاصم لله تعالى فيما لم يرضَ به، من أمره ونهيه، أو قضائه ورزقه، وما يصيبه من نوائب ومصائب.

المؤمن الموقن بالله لا يحزن على ما فات من المال والنفس وغيرها ولا يصبه الملل واليأس والقنوط، كما وصفهم الله بقوله: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[4]، فهذه دعوة للعباد إلى ترك التحسر على الدنيا، بل نهى الله عنه، وإن تعلق بالدين،

---

١ – الحديث رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير:الرقم ٧٤٢٥.

٢– د. ليلى احمد الاحدب، الموقع: واحة النفس المطمئنة، http://www.elazayem.com/ مقالة بعنوان:الإيمان.. وأثره على الصحة النفسية.

٣– رواه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، باب من سعادة ابن آدم استخارته الى الله، الرقم: ١٩١٨.

٤– سورة الحديد، الآية:٢٣.

كقوله تعالى: [وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ][1] ؛ لأنه لا يجلب منفعة، ولا يدفع مضرة، فلا فائدة فيه.

أما الحزن على موت قريب، أو فوات عبادة، أو نحو ذلك مما ليس فيه طمع أو سخط أو اعتراض على المقدر، فهو رحمة من الله، وهو حزن القلب، وحزن القلب لا يؤاخذ به العبد إذا لم يصحبه اعتراض على قدر الله تعالى، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام حزنوا، ولم يكن ذلك دليلاً على عدم يقينهم بالله، ورضاهم بقضائه.

والنبي ﷺ لما كان ابنه إبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا النبي ﷺ تذرفان الدموع، قال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة الله، ثم أتبعها بأخرى، فقال: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[2].

ومما يخالف الرضا وينافيه النوح من النساء، أو الرجال، وهو عادة يكون من النساء عند القبور، وعند نزول المصائب، وهذا من الجزع والاعتراض على القضاء، لما يصحبه من صكّ الوجه، أو لطم الخد، أو الدعاء بالويل والثبور، أو سبّ الدهر عند المصيبة، أو رفع الصوت بالبكاء والعويل، اعتراضًا على القضاء والقدر، عند موت محبوب، أو قريب، أو فوات أمر

١- سورة آل عمران، الآية:١٣٩.

٢- الحديث رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي: إنا بك لمحزونون، الرقم:١٣٠٣. ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، الرقم:٢١٣٤. وأبوداود، كتاب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت، الرقم: ١٥٨٩. وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت، الرقم: ١٥٨٩.

دنيوي، وغير ذلك مما نهى عنه النبي ﷺ في مثل قوله: "ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية[1].

وفي الحديث أن أبا موسى الأشعري ﷺ وجع وجعًا شديدًا، فغشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ، فإن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة[2]. وقوله ﷺ: أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق[3].

الإيمان يدفع الانسان الى الصبر على المصائب ولا يلجئ الى الموت أو الانتحار والضرر بحياته، كما يرشدنا رسول الله ﷺ حيث يقول: لا يتمنين أحدكم الموت لضرّ نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي[4].

---

١ -الحديث رواه البخاري،كتاب الجنائز، باب ليس منا من ضرب الخدود، الرقم:١٢٩٧. والنسائي، كتاب الجنائز، باب دعوى الجاهلية، الرقم: ١٨٦٠. واللفظ للبخاري.

٢ -الحديث رواه البخاري،كتاب الجنائز، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة، الرقم:١٢٩٦. ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعاء بدعوى الجاهلية، الرقم: ١٦٧.

٣- رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود وشق الجيوب، الرقم: ١٥٨٦.

٤ -الحديث رواه البخاري،كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة، الرقم:٦٣٥١. وكتاب المرضى، باب تمني المريض الموت، الرقم: ٥٦٧١. ومسلم، كتاب الدعوات(الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب كراهة تمني الموت، لضر نزل به، الرقم: ٦٧٥٥. وابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، الرقم: ٤٢٦٥.

فالحديث دليل على النهي عن تمني الموت، للوقوع في بلاء، أو محنة، أو خشية ذلك من عدو، أو مرض، أو فاقة، أو نحوها من المصائب التي تصيب الإنسان في حياته؛ لما في ذلك من الجزع، وعدم الصبر على المقدر، وعدم الرضا بالقضاء.

ومن هنا يتضح لنا أهمية الإيمان وثمراته ودوره في تحقيق الأمن النفسي، ومن ثمرات الإيمان بالله العزيز القدير ألا وهي:

١. يزيد من ثقة الإنسان بنفسه.

٢. يزيد من قدرته على الصبر وتحمل مشاق الحياة.

٣. يبعث الأمن والطمأنينة في النفس، ويغمر الإنسان الشعور بالسعادة.

وكان لابد كي نحقق الأمن النفسي أن نتعرف على النفس الإنسانية معرفة شاملة واسعة تحيطنا علماً بكل جوانبها ومراحلها وأطوارها وآفاتها، والمعالجة الإسلامية لها، والأمراض النفسية التي تتعرض لها، وما تمر به هذه النفس من أحوال وأحاسيس ومشاعر. سينقلها هذا إلى المحور الرابع الذي يبين إعجاز القرآن الكريم في العناية بالنفس الإنسانية[١].

ويصور لنا الإمام الشافعي صورة مؤمن بالله العزيز القدير الذي يقدر الرزق، وهو يرزق من يشاء ويمسك ممن يشاء حيث يقول:

أنا أن عشت لست أعدم قوتاً وإذا مت لست أعدم قبراً

١ الأستاذة ناهدة عبد العال الخراشي، الموقع الالكتروني، http://www.islamonline.net. دراسة بعنوان: أثر القرآن في الأمن النفسي.

همـتي همـة الملـوك ونفسـي نفـس حـر تـرى المذلـة كفـراً

وإذا ما قنعت بالقوت عمري فلماذا أخاف زيداً وعمراً ؟[1]

لا يتحسر المؤمن على الماضي باكياً حزيناً، ولا يلقى الحاضر جزوعاً ساخطاً، ولا يواجه المستقبل خائفاً وجلاً ، ولا يعيش في فزع منه، ورهبة في غموضه، وتوجس من جبروته، كأنه عدو شرير متربص، بل يعيش آمن النفس كأنه في الجنة، إن إيمانه كان مصدر أمنه، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة بل هو نوع منها، أنه طمأنينة تتعلق بالمستقبل، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسي[2].

ويؤدي الدين دورا كبيرا في تنظيم الحياة الإنفعالية والعاطفية التي يعيشها الإنسان ولاسيما وقت تعرضه للتحديات والأزمات والنكبات والأخطار كالحروب والفيضانات والزلازل والبراكين والمجاعات وموت المقربين اليه أو لأي شيء آخر، فالدين في هذه الحالة يؤدي مهمتين أساسيتين هما منح الفرد القوة والمعنوية العالية والثقة بالنفس والجرأة التي تمكنه من مواجهة الأزمة أو الكارثة التي ألمت به وكبح جماحها وتذليل مشكلاتها وتطويق آثارها السلبية القريبة والبعيدة، والمهمة الثانية التي يؤديها الدين للفرد هي منحة الصبر الذي يمكنه من تجاوز الأزمة أو المصيبة، ومثل هذا الصبر لايؤثر سلبا في حياته النفسية بل يساعده في الاستقرار ومواجهة الحياة بروح مفعمة بالشجاعة والتفاؤل

١- الإمام الشافعي، ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم محمد إبراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصوير ، القاهرة بلا تاريخ النشر ولا عدد الطبع، ص ٦٦ .

٢- الدكتور يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، الطبعة الثانية عشر ١٤١٢هـ ، ٢٠٠١م ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ص ١٤٧.

والأمل والتصميم. إضافة الى دور فضيلة الصبر التي يمنحها الدين للمؤمن في المضي في الحياة ونسيان الكارثة أو المصيبة لكي لاتؤثر في اتزانه النفسي وشخصيته وعملية تفاعله مع الآخرين[1].

إن الأيمان له دور إيجابي غير منكور في تكامل الشخصية مما يساعد المرء على إعادة تقييم الكروب وعدم الجزع اذا تعرض لها والى الصبر على المكارة وتقبل القضاء والى عدم المبالغة في التأثر بالمشاعر فلا يشتد فرحنا إذا ضحكت لنا الحياة ولا نيأس إذا أدارت عنا وجهها: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، أن هذا الوجود من الدقة والتقدير بحيث لا يقع فيه حادث إلا وهو مقدر من قبل في تصميمه، محسوب حسابه في كيانه، لا مكان فيه للمصادفة. ولا شيء فيه جزافا. وقبل خلق الأرض وقبل خلق الأنفس كان في علم الله الكامل الشامل الدقيق كل حدث سيظهر للخلائق في وقته المقدور، وفي علم الله لا شيء ماض، ولا شيء حاضر، ولا شيء قادم. فتلك الفواصل الزمنية إنما هي معالم لنا - نحن أبناء الفناء- نرى بها حدود الأشياء. فنحن لا ندرك الأشياء بغير حدود تميزها. حدود من الزمان وحدود من المكان.

وقيمة هذه الحقيقة التي لا يتصور العقل غيرها حين يتصور حقيقة الوجود الكبرى. قيمتها في النفس البشرية أن تسكب فيها السكون والطمأنينة عند استقبال الأحداث خيرها وشرها . فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعاً وتذهب

---

١ - الدكتور إحسان محمد الحسن، علم الإجتماع الديني، الطبعة الأولى٢٠٠٥، دار الوائل للنشر، الاردن- عمان، ص٥٤.

٢- سورة الحديد، الاية:٢٣.

معه حسرات عند الضراء. ولا تفرح الفرح الذي تستطار به وتفقد الاتزان عند السراء: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] فاتساع أفق النظر، والتأمل في الوجود الكبير، وتصور الأزل والأبد، ورؤية الأحداث في مواضعها المقدرة في علم الله ، الثابتة في تصميم هذا الكون، كل أولئك يجعل النفس أفسح وأكبر وأكثر ثباتاً ورزانة في مواجهة الأحداث العابرة. حين تتكشف للوجود الإنساني وهي مارة به في حركة الوجود الكوني.

إن الإنسان يجزع ويستطار وتستخفه الأحداث حين ينفصل بذاته عن هذا الوجود. ويتعامل مع الأحداث كأنها شيء عارض يصادم وجوده الصغير. فأما حين يستقر في تصوره وشعوره أنه هو والأحداث التي تمر به، وتمر بغيره، والأرض كلها، ذرات في جسم كبير هو هذا الوجود، وأن هذه الذرات كائنة في موضعها في التصميم الكامل الدقيق. لازم بعضها لبعض. وأن ذلك كله مقدر مرسوم معلوم في علم الله المكنون، حين يستقر هذا في تصوره وشعوره، فإنه يحس بالراحة والطمأنينة لمواقع القدر كلها على السواء. فلا يأسى على فائت أسى يضعضعه ويزلزله، ولا يفرح بحاصل فرحاً يستخفه ويذهله. ولكن يمضي مع قدر الله في طواعية وفي رضى. رضى العارف المدرك أن ما هو كائن هو الذي ينبغي أن يكون!.

وهذه درجة قد لا يستطيعها إلا القليلون. فأما سائر المؤمنين فالمطلوب منهم ألا يخرجهم الألم للضراء، ولا الفرح بالسراء عن دائرة التوجه الى الله، وذكره

١- سورة الحديد، الآية:٢٣.

بهذه وبتلك، والاعتدال في الفرح والحزن[1]. عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال: ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن إذا أصابته مصيبة جعلها صبراً، فإن أصابه خير جعله شكراً " قال البيهقي رحمه الله: وهذا يؤكد قول الحليمي رحمه الله في هذه الآية: إنَّ المراد بالحزن التسخط والتضجر، والمراد بالفرح فرح التبذخ والتكبر[2]. وهذا هو اعتدال الإسلام الميسر للأسوياء[3].

في القلب شعثٌ لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبدا[4].

المطلب الرابع: الإيمان والابتعاد عن الجرائم والمعاصي:

إن لكل جريمة وراء صاحبها قلق دفعه إلى ارتكابها كالخوف من الموت أو من الجوع أو الفقر أو من المرض أو غير ذلك. وكل جريمة تزيد من نسبة القلق إذ أن من يعيش في هذا المجتمع ويسمع هذه الإحصائيات قد يخشى أن يكون الضحية

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، م٦ ص ٣٤٩٣.

٢- رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان، باب في القدر خيره وشره من الله، الرقم:٢٣٤.

٣- سيد قطب، في ظلال القرآن، م٦ ص ٣٤٩٣.

٤- ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، هذبه عبدالمنعم صالح العلي العزي، بدون عدد الطبع ولا تاريخ النشر، نشر احسان- طهران، م٢ ص٨٩٨.

ليس في اليوم التالي بل في الدقيقة التالية فيظل قلقاً متوتراً بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

والسر في تعليل ذلك ليس ببعيد وذلك أن تلك الحضارة قامت على بناء عقل الإنسان أو هكذا يزعمون دون بناء الروح فأصبح الإنسان فيها مجرد آلة تسعى لغاية والغاية تبرر الوسيلة – نجد ذلك على مستوى الأفراد وعلى مستوى الدول حيث تحصد بعض الدول المتحضرة عشرات الأنفس البريئة لتحقيق ما تزعم أنه من مستلزمات أمنها وقد أعماها الخوف والرعب عن التَبيّن ولم تستطع بقوتها أن تبني مجتمعاً آمنا لها فضلاً عن أن تبنيه لغيرها[1].

ويعد الدين وسيلة مهمة من وسائل الضبط الاجتماعي، ذلك أن الدين يرشد المؤمن الى السير في الطريق المستقيم والابتعاد عن الطريق الملتوي الذي يقوده الى الشر والانحراف والجريمة. كما أن الدين كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي يذكر المؤمن بأن سيره في الطريق المستقيم هو الوسيلة الوحيدة التي تقوده الى النجاة والحصول على الغفران من الله سبحانه وتعالى، بينما سيره في طريق الشر والعصيان والطاغوت سيقوده الى اقتراف الذنوب التي يعاقبه الله سبحانه وتعالى عليها في الحياتين الأولى والثانية، وعليه يلعب الدين الدور الكبير في ضبط سلوكية الفرد وتهذيب أخلاقه وابتعاده عن متاهات الانحراف والشر والفساد والجريمة، ولما كان الدين وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي، وهذه الوسيلة تدعو الى الاستقامة والهداية والنجاة فإن الدين يمكن أن يكون هنا وسيلة من وسائل تحقيق وحدة العقيدة والسلوك. كما يبحث الدين عن التمسك

---

١ – أ.د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسة بعنوان: القرآن والأمن النفسي، الموقع الالكتروني، ملتقى أهل التفسير .www/tafsir.org.

بالقيم والمبادئ الايجابية والابتعاد عن القيم والمبادئ السلبية الضارة، ومهمة كهذه التي يؤديها الدين لها أهميتها الكبيرة في زرع الخصال الايجابية عند المؤمن وتنميتها بحيث تؤثر تأثيرا فاعلا في سلوكه وعلاقته بالآخرين[1].

الإيمان بالله هو واجب عقلي وشرعي على إنسان مكلف يعيش على بساط كوكب الأرض أو في أي عالم آخر إن وجد، فالإيمان بالله هو المنطلق الأول للإنسان نحو النمو والتقدم والتطور في المجالين الروحي والمادي.

إن القيم الإنسانية والمثل العليا التي امتزجت بقواعد التشريع من البر والإحسان، والتكامل والوئام، والأخوة والإيثار، تستمد معاييرها وتدعيمها من ينبوع واحد وهو الإيمان بالله. فالإيمان بالله يراقب العامل في معمله، والفلاح في مزرعته، والموظف أثناء أداء عمله، والمعلم في مدرسته. والجندي في ساحة معركته، والأم في بيتها، والسلطة حين ممارسة مسؤولياتها[2].

إن الايمان هو خط الدفاع الأول ضد الجرائم بصورة عامة، وضد جريمة القتل بصورة خاصة، ولذلك فإن الاسلام يهتم بترسيخه في القلوب، وتربية ضمير المسلم على التشبع به، فالإيمان الصحيح يجعل صاحبه يمتنع عن القتل، كما يجعله يندم إذا وقع منه خطأ، ويرشده الى الإنابة والتوبة الى خالقه عزوجل، وكذلك يجعله يمتنع عن أخذ الثأر ويعفو عن القصاص احتسابا لما عندالله تعالى من الأجر العظيم[3].

١- الدكتور إحسان محمد الحسن، علم الإجتماع الديني، ص٥٦-٥٧.

٢- الدكتور مصطفى الزلمي، منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، بدون عدد الطبع، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مطبعة شفيق- بغداد، ص١٤-١٥.

٣- عثمان دوكوري، التدابير الواقية من القتل في الاسلام، الطبعة الاولى،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الوطن للنشر، السعودية- الرياض، ص١١٥.

قال الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي: إنّ السارق فينا في اللحظة التي يمد يده للسرقة يتذكر إجراء الحد الشرعي عليه، ويخطر بباله أنه أمر إلهي نازل من العرش الأعظم فأنه يسمع بخاصية الإيمان بإذن قلبه ويشعر حقيقة بالكلام الأزلي الذي يقول: [**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**][1] ، فيهيج عنده ما يحمله من إيمان وعقيدة، وتثار مشاعره النبيلة، فتحصل له حالة روحية أشبه ما يكون بهجوم يشن من اطراف الوجدان وأعماقه على ميل السرقة، فيشتت ذلك الميل الناشئ من النفس الأمارة بالسوء والهوى، وينسحب وينكمش، وهكذا بتوالي التذكير هذا يزول ذلك الميل ليس الوهم والفكر وحدهما وإنما قوى معنوية من عقل وقلب ووجدان، كلها تهاجم دفعة واحدة ذلك الميل والهوى فبتذكر الحد الشرعي يقف تجاه ذلك الميل زجر سماوي ورادع وجداني فيسكتانه.

أجل إن الإيمان يقيم دائما في القلب والعقل حارسا معنويا أميناً، لذا كلما صدرت ميول فاسدة عن تطلعات النفس والنوازع والأحاسيس المادية قال لها ذلك الحارس الرادع: محظور..ممنوع.. فيطردها ويهزمها.

إنَّ أفعال الإنسان إنما تصدر عن تمايلات القلب والمشاعر وهي تنبعث من شدة تحسس الروح وحاجتها، والروح حينما تهتز بنور الإيمان، فإن كان خيراً يفعله الإنسان، وإلا يحاول الانسحاب، وعندئذ لا تغلبه النوازع والأحاسيس المادية التي لا ترى العقبى[2].

١- سورة المائدة، الآية: ٣٨.

٢- بديع الزمان سعيد النورسي، الخطبة الشامية صرخة حياة في موات أمة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة السادسة، شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٩م، القاهرة، ص٧٩-٨٠.

وجاء في الأحاديث النبوية الشريفة " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن " وفي حديث ابن عباس " ولا يقتل وهو مؤمن " قال عكرمة: قلت لابن عباس: كيف ينزع منه الإيمان ؟ قال: هكذا وشبك بين أصابعه ثم أخرجها فإن تاب عاد إليه هكذا وشبك بين أصابعه[1].

وجاء في الحديث النبوي الشريف: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله ؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه[2]. والحديث: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[3]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة وليس في قدرة الباحث أن يأتي بجميعها في هذا المقام أو يستوعبها.

فأي حصانة للنفس وأي حصانة للمجتمع أكثر من إيمان يمنع صاحبه من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ويمنعه من إيذاء المسلمين بأي نوع من أنواع الإيذاء بل يتجاوز منعه من الإيذاء إلى أنه لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. أي مجتمع هذا المجتمع إذا سادت فيه هذه المعاني وانتشرت فيه هذه القيم والتزمت هذه المبادئ فلا مكان للجريمة ولا مكان للانحراف والاعتداء.

---

١ – رواه البخاري كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه، الرقم: ٦٤٢٤.

٢ – رواه البخاري كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، الرقم: ٦٠١٦.

٣– رواه البخاري باب كتاب الإيمان، باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: ١٣. ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، الرقم: ٧١.

أما الدوافع التي تقود الفرد الى ارتكاب جريمة القتل كما يحددها الاسلام فهي عدم الإيمان بالله سبحانه وتعالى أو ضعف الإيمان وهشاشته، وسوء التنشئة الاجتماعية للفرد وعدم استقامته[1].

ويبين القرآن الكريم دور الإيمان في منع المؤمن من الجريمة في قصة ابني آدم، كما يقول سبحانه: [**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**][2]. أحدهما مؤمن بالله العظيم، ويخاف من عقابه، والآخر عاصٍ[3] لا يخاف من الله ولا من عقابه وسخطه، وهو الذي يبسط يده لقتل أخيه، والآخر يمنعه إيمانه من ارتكاب هذه الجريمة النكراء، وهنا يظهر دور الإيمان في منع الجريمة والوقوع فيها، لأن الايمان قوة عظيمة داخلية في صدور المؤمنين، فهذا الايمان الراسخ بالله العلي القدير يمنعهم من السيئات والمعاصي ويدفعهم نحو الحسنات وعمل الخير.

إن الشباب الذين يمثلون ربع البشرية، قد لا يصغون لصوت عقولهم الجريئة، فرغباتهم وهواهم في ثورة وجيشان، وهم مغلوبون على أمر حواسهم ونوازعهم، فإذا ما فقد هؤلاء الشباب الإيمان بالآخرة ولم يتذكروا عذاب جهنم، فإن أموال الناس وأعراضهم وراحة الضعفاء وكرامة الشيوخ تصبح مهددة بالخطر، إذ قد يدمر أحدهم سعادة بيت آمن هنيء لأجل لذة طارئة،

١- الدكتور إحسان محمد الحسن، علم الإجتماع الديني، ص١٧٩.

٢- سورة المائدة، الآية : ٢٨.

٣- ينظر: محمد بن اسماعيل القرطبي، الجامع لِأَحكام القرآن، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم الحفناوي والدكتور محمود حامد عثمان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الحديث- القاهرة، م٣ج٦ص٥٠٠.

ومن ثم يذوق وبال أمره عذاباً لسنين عديدة في مثل هذه السجون فيتحول إلى ما يشبه الحيوان الكاسر.

ولكن إذاما أمده الإيمان بالآخرة وأغاثه، فسرعان ما يسترجع صوابه ويسترشد بعقله ويخاطب نفسه قائلاً: على الرغم من أن شرطة الحكومة وعيونها لا يمكنهم رؤيتي لكوني في خفاء عنهم، فإن ملائكة السلطان الأعظم ذي الجلال الذي يملك سجن جهنم ذلك السجن الأكبر الدائم يسجلون عليّ سيئاتي.. فأنا إذن لست طليقاً مفلت الزمام، بل أنا ضيف عابر ذو مهمة.. وسأكون لا محالة في يوم ما ضعيفاً وشيخاً مثلهم، فتترشح قطرات الرحمة والرأفة والشفقة- عندئذ- من أعماق قلبه، ويشعر بالاحترام لأولئك الذين كان يريد أن يتعدى على حقوقهم ظلماً[1].

يعد الإسلام من أهم وسائل الضبط الإجتماعي الداخلية، أنه ينطوي على مجموعة من المبادئ والمعتقدات والتعاليم التي توضح للمؤمن ماهية الجنايات والنواهي التي يمكن أن يتجنبها ويبتعد عنها ويعزف عن اعتمادها في تفكيره وسلوكه، وماهية الطاعات التي يمكن ان يلتزم بها ويجسدها في علاقاته اليومية وسلوكه الإجتماعي. علما بأن الجنايات والطاعات، التي يحددها الإسلام ويميز بينها سواء كان في القران الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة أو الشريعة الاسلامية، ويتعلمها المسلم في سن مبكرة عن طريق العديد من القنوات التي أهمها الأسرة والمدرسة والمسجد والجامع ووسائل الاعلام الجماهيرية والمجتمع المحلي والقيادات وجماعات اللعب وغيرها. إن هذه القنوات إنما تعلم المسلم عدة أشياء أهمها ماهية الجنايات والنواهي التي ينبغي تجنبها وماهية الطاعات

١- بديع الزمان سعيد النورسي، الثمرة من شجرة الإيمان، ص ٨٥-٨٦.

التي ينبغي الالتزام بها. وأخيرا تعلم هذه القنوات الفكرية والتربوية والاخلاقية المسلم بأن ارتكاب الجنايات والنواهي إنما يعرضه الى السخط والعقاب والاستهجان من قبل الله سبحانه وتعالى ومن قبل الناس على حد سواء، بينما الالتزام بالطاعات والقيام بالأعمال الصالحة سيجلبان له الثواب والرضا والاستحسان من الله ومن الناس في الحياتين الأولى والآخرة. واذا ما اكتسب الفرد هذه المبادئ والتعاليم وجسدها في سلوكه وعلاقاته اليومية والتفصيلية فإنه سيكون صالحا في سلوكه وأعماله وينال رضا الله والناس[1].

خاتمة البحث: بعد هذه الدراسة في ضوء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وثنايا الكتب والدراسات العلمية في مجال علم النفس الحديث يتضح لنا مدى أهمية الإيمان القرآني للنفس البشرية وحمايتها من الفراغ والخواء الروحي واليأس والوقوع في الجريمة والالتجاء الى الانتحار عندما يتعرض للمصيبة مادية كانت أو معنوية، فأما غير المؤمن بالله تعالى يتعرض لليأس والقنوط والالتجاء الى عمل يعرضه للهلاك كشرب الخمر والعزلة والانتحار، لأنه لا يرجو لقاء ربه في يوم القيامة ولا ينتظر ثوابه، أما المؤمن الموقن بالله العزيز الكريم يكون قلبه عامرا بذكر الله ورجاء عونه وثوابه والاستعانة به على الصبر في مواجهة المكاره والصعوبات في الحياة الدنيا، وإذا أصابه خير شكر ربه وهو خير له، وإذا أصابه شر صبر فكان خيراً له، فهذا الإيمان يدفع الإنسان دائما نحو الخير والعمل الصالح، ولا يأسى على ما فاته ولا يغتر بما حققه من نجاح في عمله، وهذا كله من ثمرات الإيمان بالله العزيز الحكيم.

١ – الدكتور إحسان محمد الحسن، علم الإجماع الديني، ص١٧٤-١٧٥.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق وتخريج الدكتور عبدالعلي عبدالحميد حامد، بدون عدد الطبع ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، من إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية- دولة قطر، الدار السلفية، بومباي- الهند.

أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ١٩٩٦م دار الفكر، بيروت- لبنان.

إحسان محمد الحسن، الدكتور، علم الإجتماع الديني، الطبعة الأولى٢٠٠٥، دار الوائل للنشر، الاردن- عمان.

إحسان محمد الحسن، الدكتور، موسوعة علم الإجتماع، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان

أحمد بن تيمية الحراني تقي الدين، مجموعة الفتاوى، تحقيق وتخريج عامر الجزار و أنور الباز، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ٢٠٠١م، دار الوفاء، المنصورة.

أحمد بن شعيب بن علي الشهير بـ(النسائي)، أبو عبدالرحمن الإمام النسائي، سنن النسائي، تخريج وتعليق محمد ناصرالدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى بدون تاريخ النشر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.

أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، قاموس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م، دار الفكر، بيروت- لبنان.

أسامة اسماعيل قولي، الدكتور، العلاج النفسي بين الطب والإيمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، دار الكتب العلمية، بيروت—لبنان.

انور الجندي، مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام، بدون عدد الطبع، دار الاعتصام- القاهرة، ١٩٩٧.

بديع الزمان سعيد النورسي، الثمرة من شجرة الإيمان، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الخامسة ٢٠٠٨م، شركة سوزلر للنشر، القاهرة.

بديع الزمان سعيد النورسي، الخطبة الشامية صرخة حياة في موات أمة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، الطبعة السادسة، شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٩م، القاهرة.

حسن عبدالله الترابي، الدكتور، الإيمان أثره في حياة الإنسان، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، منشورات عصر الحديث.

حسن عبدالله الترابي، الدكتور، التفسير التوحيدي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، دار الساقي، بيروت- لبنان.

الحسين بن علي بن محمد المفضل الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ، الدار الشامية بيروت، ودار القلم دمشق.

ديل كارينجي، دع القلق و ابدأ الحياة، ترجمة: عبد المنعم الزيادي الطبعة الخامسة، ١٩٥٦م، مكتبة الخانجي- القاهرة.

سليمان بن الأشعث، أبو عبدالله الإمام أبو داود، سنن أبي داود، تخريج وتعليق محمد ناصرالدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى بدون تاريخ النشر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.

سميرة حسن أبكر، الحاجة للإيمان وأثرها على الأمن النفسي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية البنات- جدة- السعودية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م، دار الشروق بيروت.

عبدالمنعم الحفني، الدكتور، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، مكتبة مدبولي- القاهرة.

عثمان دوكوري، التدابير الواقية من القتل في الاسلام، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار الوطن للنشر، السعودية- الرياض.

محمد بن أبي بكر بن سعد، الإمام ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، هذبه عبدالمنعم صالح العلي العزي، بدون عدد الطبع ولا تاريخ النشر، نشر احسان- طهران.

محمد بن ادريس الشافعي، الإمام، ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس) إعداد وتعليق وتقديم محمد إبراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصوير ، القاهرة بلا تاريخ النشر ولا عدد الطبع.

محمد بن اسماعيل القرطبي، الجامع لِأَحكام القرآن، تحقيق الدكتور محمد ابراهيم الحفناوي والدكتور محمود حامد عثمان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م، دار الحديث- القاهرة، م٣ج٦ص٥٠٠.

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبدالباقي، تقديم العلامة احمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م، دار ابن الهيثم، القاهرة.

محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري الإمام الحافظ أبو عبدالله (المستدرك على الصحيحين)، مع تضمينات الإمام الذهبي في التخليص والميزان والعراقي في أماليه والمناوي في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء، تحقيق

وتخريج الشيخ عبدالرزاق المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، دار الكتاب العربي – بيروت- لبنان.

محمد بن عيسى بن سورة، أبو عيسى الإمام الترمذي، سنن الترمذي، تخريج وتعليق محمد ناصرالدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى بدون تاريخ النشر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.

محمد بن يزيد بن القزويني، أبو عبدالله الإمام ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تخريج وتعليق محمد ناصرالدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى بدون تاريخ النشر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية.

محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الإمام مجد الدين (قاموس المحيط) تحقيق مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة – بيروت، لبنان.

محمد عثمان نجاتي، الدكتور، القرآن وعلم النفس، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ٢٠٠١م، دار الشروق، القاهرة.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسباوري (٢٠٦ – ٢٦١هـ) (صحيح مسلم) تصحيح وترقيم وتبويب محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، دار الحديث القاهرة.

مصطفى الزلمي، الدكتور، منهاج الإسلام لمكافحة الإجرام، بدون عدد الطبع، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، مطبعة شفيق- بغداد.

نبيل موسى، الدكتور، موسوعة مشاهير العالم أعلام علم النفس وأعلام التربية والطب النفسي والتحليل النفسي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، دار الصداقة العربية، بيروت- لبنان.

يوسف القرضاوي، الدكتور، الإيمان والحياة، الطبعة الثانية عشرة ١٤١٢هـ ، ٢٠٠١م ، القاهرة ، مكتبة وهبة للطباعة والنشر.

يوسف القرضاوي، الدكتور، تفسير سورة الرعد، اعداد محمود عوض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، مكتبة وهبة، القاهرة.

يوسف حامد العالم، الدكتور، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، دار الأمان- الرياض.

المواقع الالكترونية:

٢٨- عمر شاهين، الدكتور، الموقع الالكتروني، islamonline.net. http://www. مقالة بعنوان: الإسلام والصحة النفسية.

٢٩- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الدكتور، الموقع الالكتروني، ملتقى أهل التفسير .www/tafsir.org. دراسة بعنوان: القرآن والأمن النفسي.

٣٠- ليلى احمد الاحدب، الدكتورة، الموقع الالكتروني، واحة النفس المطمئنة، http://www.elazayem.com / مقالة بعنوان: الإيمان.. وأثره على الصحة النفسية.

٣١- محمد دودح، الدكتور، الموقع الالكتروني، http://www.islamonline.net، مقالة بعنوان: الإيمان شفاء للنفوس والأبدان.

٣٢- محمد غانم، الدكتور، الموقع الالكتروني: واحة النفس المطمئنة، http://www.elazayem.com/ مقالة بعنوان: المؤمنون لا يمرضون نفسيا.

٣٣- ناهدة عبد العال الخراشي، الدكتورة، الموقع الالكتروني، http://www islamonline.net.. دراسة بعنوان، أثر القرآن في الأمن النفسي.